

الدولة العراقية الهشة: نتاج داخلي أم ضرورة أميركية

أ. د. إبراهيم سعيد البيضاني*

باحث وأكاديمي من العراق

* أستاذ العلوم السياسية - الجامعة
المستنصرية

مقدمة

إن وصف الدولة الهشة يطلق على الدولة التي تعجز حكوماتها عن الإيفاء بالتزاماتها الأساسية تجاه شعبها وتجاه الدول الأخرى، وعدم قدرتها على حماية مواطنيها، إذ يغيب الأمن وتسود الجريمة والإرهاب والقتل والفوضى، وتضعف المؤسسات الخدمية عن أداء التزاماتها تجاه شعبها ومواطنيها، وبالنتيجة فإن سوء الحكم هو أحد أبرز صفات الدولة الهشة، وهذه الوصف ينطبق على حالة العراق بعد عام 2003، برغم من الإقرار بأهمية النجاحات التي تحققت هنا أو هناك، إلا أن صفة الأزمة والهشاشة لا تزال هي السمة البارزة، وأن الصراع يتزايد ولا يزال المستقبل غير محدد الملامح، ومن ثمّ فإننا بإزاء دولة هشة صنعتها وساهمت في صياغتها عوامل عدة.

أولاً: العامل الدولي (السياسة الأميركية في العراق)

لقد حاولت الولايات المتحدة بغزو العراق، أن تخرج من متلازمة فيتنام من جهة، وتحصد نتائج انهيار نظام القطبين ونشوء نظام القطب الواحد من جهة أخرى، وذلك بضربة واحدة، تلتقي فيها مع الأجندات الإسرائيلية وتجرب فيها تكنولوجيات عسكرية جديدة، تمكّنها من الوجود في مناطق مختلفة في العالم في الوقت نفسه، وبعدد قليل من الجنود، وتتلخّص التكنولوجيات الجديدة التي يسمح بتطويرها أكبر اقتصاد في العالم، بتقليل عدد الجنود المساهمين مباشرة في الحرب والقدرة على نقلهم بسرعة من مكان إلى آخر، مقرونة بقدرة تدميرية هائلة عن بعد، تسمح بتقليل عدد ضحايا الدولة

كانت الأهداف الأميركية من وراء الحرب على العراق، وهي لمقتضيات الأهداف والمصالح الأميركية والتفرد العالمي، وليس لبناء تجربة ديمقراطية في العراق.

المعتدية. ومن ثمَّ كانت الأهداف الأميركية من وراء الحرب على العراق، وهي لمقتضيات الأهداف والمصالح الأميركية والتفرد العالمي، وليس لبناء تجربة ديمقراطية في العراق.

ومع فشل المحافظين الجدد في هذه المهمة، رفع المحافظون الجدد شعار الديمقراطية وبناء الأمة، على حين شكل وصول ليبراليون أميركيون إلى سدّة الحكم معارضة

للتدخل في الخارج، وعادوا الى الموقف المحافظ الأصلي الذي تعتمده السياسة الإمبريالية الأميركية في الإبقاء على ما هو قائم، سواء أكان نظاماً تقليدياً حليفاً، أو ما ينتج عن الإطاحة به بسبب ثورة لا يتدخلون فيها، كما يجري ذلك حالياً في الدول العربية⁽¹⁾.

لقد كان شعار المحافظين الجدد (تصدير الديمقراطية)، ولكن ما حدث في احتلال العراق أعاق تطور الديمقراطية في المشرق العربي، فقد نفّرت الشعوب من التغيير ومن الاصطفاف الطائفي الذي نتج عنه،

ومن فساد النخب المتحالفة مع المحتلين، إلى درجة جعلت فئات واسعة في المشرق العربي، تخشى التغيير، فقد أسفر التغيير الذي قاده أميركا في العراق إلى تفكيك الاغلبية العربية في المجتمع العراقي الى نظام طائفي، وتسييس التنوع الطائفي مدعوماً بدستور يرسخ ويقوي النزعة الطائفية

والتجزئة، ومما زاد من تعميق هذه الأزمة الطائفية الأجندات العربية التي تتعامل مع العرب كطوائف مرتبطة بأجندات إقليمية متنوعة⁽²⁾.

لذلك كانت النتائج التي تمخضت عن احتلال الولايات المتحدة للعراق، تدفع نحو تفتيت طائفي غذته الولايات المتحدة وساهمت في صياغته وتسييسه، زيادة على مخاطر فساد النخبة وخاصة المستفيدة من وجود المحتل والمتحالفة معه، ومن ثمَّ تضافرت نتجت عوامل عدة كيما تؤدي الى قيام دولة هشة، ينخر فيها الفساد والتشتت والصراع وتتلاقفها الأجندات الإقليمية والمصالح المتنافضة.

ثانياً: الدور الاقليمي

كان للعامل الإقليمي تأثير ملموس في خلق أوضاع هشة في العراق، مما

(1) عشر سنوات على احتلال العراق: النص الكامل لمحاضرة عزمي بشارة في افتتاح مؤتمر العراق نيسان 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - الدوحة، 2013.

نفّرت الشعوب من التغيير ومن الاصطفاف الطائفي الذي نتج عنه، ومن فساد النخب المتحالفة مع المحتلين

(2) المصدر نفسه.

عرقل إمكانية قيام حكومة وحدة وطنية متجانسة، ومتكاملة بهوية وطنية وأهداف مشتركة، إذ إن المصالح المتناقضة والمختلفة بين مراكز وقوى الاقليم العربية والأجنبية المجاورة للعراق، أسهمت في وضع بصمة واضحة على مسار الأوضاع والتطورات الجارية في العراق، إذ أصبح العراق ساحة للتنافس والصراع الإقليمي.

ولعل الدور الإيراني أخذ مساحة أكبر من التحليل والتعقيد والمبالغة أحياناً بوصفه الأكثر تأثيراً وتدخلًا ومصصلحة في الشأن العراقي، إذ كان للولايات المتحدة من وراء احتلال العراق هدفاً آخر هو الانطلاق نحو مواجهة إيران، ففي

كان للولايات المتحدة من وراء احتلال العراق هدفاً آخر هو الانطلاق نحو مواجهة إيران

دراسة حول القواعد الأميركية في العالم، أكدت أن من الأسباب وراء احتلال العراق، هو إقامة قواعد عسكرية واستخبارية على أرضه، وهذا الأمر لا بد أن ترافقه إقامة حكومة موالية للولايات المتحدة للمحافظة على هذه المنشآت، وتقديم التسهيلات اللازمة لها، وهذه القواعد مفيدة في مواجهة إيران التي تعد الهدف الثاني المرشح للضربة الأميركية القادمة، إذ كانت الولايات المتحدة ولا تزال تنظر الى إيران، بوصفها أحد عناصر محور الشر الثلاثة، وتؤدي دوراً يتناقض مع المصالح الأميركية في المنطقة، وترى فيها أنها تدعم حزب الله في لبنان وتدعم حماس في فلسطين المحتلة، وبذلك فإن إقامة حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة، ستؤمن كلا الهدفين الرئيسيين وهما التواجد العسكري لضمان أمن إسرائيل والنفط، وهذا كان من أهم الأهداف وراء الحملة على العراق⁽³⁾.

(3) دراسة اعدّها برادلي تايلر من مؤسسة راند للدراسات.

إن الولايات المتحدة تخشى من سيطرة الشيعة على الحكم في العراق، لأنها تعتقد أن ذلك يعزز النفوذ الإيراني، وهي في الوقت نفسه تخشى السنة الذين يرتبطون مع بقايا البعث وبالعناصر التكفيرية بصلات وثيقة، لذلك تسعى الولايات المتحدة إلى إعطاء السلطة إلى حكومة، هي أقرب للحكومة الحقيقية من جهة وهي حكومة مشتركة تمثل كل الأطياف ذات سلطة

الولايات المتحدة تخشى من سيطرة الشيعة على الحكم في العراق، لأنها تعتقد أن ذلك يعزز النفوذ الإيراني

محدودة الصلاحيات، تستطيع من خلالها الاحتفاظ بوجودها العسكري في العراق⁽⁴⁾، وهذا الوصف ينطبق على المرحلة التي رافقت المغيرات الجديدة في العراق بعد عام 2003، لذلك فإن إقامة دولة شكلية هشة كان فيه مصلحة أميركية.

(4) وانغ جينغ، الباحث في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية.

ومنذ بدء الحديث عن انسحاب أميركي من العراق عام 2008، كان الهاجس والقلق الأميركي يتمركز حول الدور الإيراني واحتمال تصاعد وتنامي قوتها وتأثيرها في الساحة العراقية، وفي أعقاب انسحاب الجيش الأميركي من العراق، ربما تستخدم طهران دعمها لهذه الميليشيات الشيعية والجماعات التي قاومت الاحتلال للضغط على الحكومة العراقية، من أجل الحد من علاقتها مع الولايات المتحدة، ناهيك عن إمكاناتها للتأثير في قضايا أخرى.

وتخشى الولايات المتحدة من سعي إيران إلى دفع الجماعات التي ترعاها، في أن تبسط نفوذها في الشارع، وتستخدم قدراتها العسكرية التي سبق وأن اضطلعت بها ضد الولايات المتحدة كمدخل إلى الحياة السياسية، وإذا ما حدث ذلك فمن المرجح مرة أخرى أن تقوم طهران بفصل العناصر المتطرفة عن هذه المنظمات، لتشكيل جماعات خاصة جديدة تسهم في المزيد من جهودها لتوحيد حلفائها العراقيين سياسياً⁽⁵⁾، لذلك كانت إيران حاضرة دائماً بإزاء صانع القرار الأميركي.

لذلك يرى (فريدمان) أنه في ظل غياب الولايات المتحدة، سوف يهيمن الإيرانيون على العراق، وأن عدم خضوع إيران للرقابة، وغض الطرف عن قدراتها النووية التي ما زالت قيد التطوير، يمثل تهديداً استراتيجياً جوهرياً لميزان القوى بمنطقة الخليج، وبافتراض أن قضية المفاعل النووي تم التوصل لحل بشأنها سواء دبلوماسياً أو عن طريق الهجمات العسكرية، فإن المشكلة الأساسية ستبقى كما هي، حيث إن الخلاف الجوهري يدور حول التهديد التقليدي وليس النووي⁽⁶⁾، والتهديد التقليدي يشمل مناطق استراتيجية مهمة تزعم الولايات المتحدة، هي الساحة السورية والساحة اللبنانية والساحة العراقية، فضلاً عن الخليج.

وبالتأكيد فإن العلاقات الأميركية الإيرانية المتشجعة والتلويح الأميركي باستخدام القوة ضدها، يجعل السياسيين العراقيين المرتبطين مع إيران أكثر حرجاً، إن الطبيعة المتشظية وغير المنتظمة للسياسات العراقية، قد سمحت لمختلف دول الجوار بما فيها الدولة الأصغر (الكويت) أن تتدخل وتضع أجندات تريد تنفيذها في العراق.

إن الطبيعة المتشظية وغير المنتظمة للسياسات العراقية، قد سمحت لمختلف دول الجوار بما فيها الدولة الأصغر (الكويت) أن تتدخل وتضع أجندات تريد تنفيذها في العراق

(5) نفوذ إيران في العراق، مواجهة منهج حكومة طهران الشامل، مايكل آيزنشتات، مايكل نايتس، وأحمد علي مايكل آيزنشتات، مايكل نايتس، وأحمد علي، معهد واشنطن - نشرة المجهر السياسي رقم 111، 28 نيسان 2011.

(6) جورج فريدمان، سياسات بغداد والتوازن الأميركي الإيراني، عرض إيمان مصطفى تقرير واشنطن، العدد 255 7 يولييه 2010.

أما القوة الإقليمية الأخرى التي تدخلت في المشهد العراقي، وأسهمت في جعل الدولة هشة غير متجانسة فهي تركيا، وقد حاولت أن تعزز موقعها وتأثيرها في المشهد السياسي العراقي، عن طريق تطوير العلاقات في مجال الطاقة مع إقليم كردستان والاستثمار في القطاع النفطي، وتسعى الى توقيع معاهدة استراتيجية في مجال الطاقة مع (حكومة إقليم كردستان)، تتلقى تركيا بموجبها كميات كبيرة من صادرات النفط والغاز من المنطقة الكردية بشكل مستقل عن بغداد، وهذا السيناريو يتطلب بالحتم بناء خطوط أنابيب جديدة داخل تركيا وإقليم كردستان.

ومنذ التدهور في العلاقات بين أردوغان ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي في عام 2011، سعت واشنطن إلى إيقاف اندفاع تركيا نحو إقامة علاقة طاقة حصرية مع حكومة إقليم كردستان على حساب بغداد، وقد اتخذ العراق مؤخراً خطوات لفتح الباب أمام المصالحة بتشجيع من الدبلوماسيين الأمريكيين⁽⁷⁾، إذ إن الدور التركي في السنوات منذ عام 2011 حتى اليوم، أخذ بالتصعيد والتوتر نتيجة التدخل في الازمة السورية، وبغية الضغط على العراق لتغيير موقفه منها، لهذا فإن الموقف التركي يحمل مشروعا طائفاً، وتوافق مع متبنيات كل من قطر والسعودية لدعم العناصر المتشددة من القاعدة، بحجة حماية السنة في العراق.

سعت واشنطن إلى إيقاف اندفاع تركيا نحو إقامة علاقة طاقة حصرية مع حكومة إقليم كردستان على حساب بغداد

(7) ذي غارديان، النفوذ الإيراني في العراق: طهران كسبت اللعبة والجولة لكنها بعيدة عن كسب المعركة، معهد واشنطن، 18 تشرين الأول/أكتوبر 2010.

وتدخلت تركيا في الشأن السياسي في دعم وتشجيع مخيمات الاعتصام في الأنبار ومدن عراقية أخرى، والتي افرزت أوضاعاً سلبية على المشهد السياسي العراقي، ودفعت الأمور نحو المزيد من الانقسام والتشرذم، وبظلمها ازدادت الاوضاع الامنية سوءاً، فضلاً عن إيوائها المعارضين واللاجئين والمطلوبين للقضاء العراقي.

على حين كانت المملكة العربية السعودية من أبرز اللاعبين الإقليميين وقد ألقت سياساتها بظلالها المقيتة على الأوضاع السياسية في العراق، فقد كان الهدف الأساسي للدبلوماسية السعودية هو احتواء النفوذ الإيراني، عن طريق (لعبة موازنة) مزدوجة، فمن ناحية تحاول المملكة احتواء النفوذ الإيراني في المنطقة، ولأنها لا تستطيع تحجيم هذا النفوذ في العراق،

الهدف الأساسي للدبلوماسية السعودية هو احتواء النفوذ الإيراني، عن طريق (لعبة موازنة) مزدوجة

فإنها تركز على تحجيم النفوذ الإيراني في كل من لبنان وفلسطين، ومن ناحية أخرى لا ترغب السعودية في الدخول في مواجهة مباشرة مع إيران، ومن ثم تقوم اللعبة السعودية هنا على احتواء النفوذ الإيراني في المنطقة، بالتركيز على الساحتين اللبنانية والفلسطينية، ويمكن القول إن السياسة السعودية تعمل بالتوازي مع السياسة الأميركية، لإيقاف التأثير الإيراني في المنطقة وفي العراق على حد سواء⁽⁸⁾.

(8) مايكل نايتس، خيار تركيا في العراق: سياسة الجسور المحروقة أم سياسة تحقيق الفائدة لجميع الأطراف، معهد واشنطن، المرصد السياسي 15.2066 نيسان/ أبريل 2013.

فقد نشرت نيويورك تايمز في السادس من شباط عام 2007، مقالاً بعنوان (السعوديون يقاومون إيران في المنطقة)، تناول محاولات السعودية لإحداث توازن إقليمي موازٍ للنفوذ الإيراني، فالسعوديون الذين فضلوا لسنوات العمل الدبلوماسي من وراء الكواليس، يحاولون الآن الاضطلاع بدور رئيس في نزاعات ثلاثة في منطقة الشرق الأوسط، عن طريق استضافة المفاوضات بين حركتي فتح وحماس لوقف الاقتتال الداخلي، وفي لبنان تقف السعودية بجانب مكون معين يدعم دخول الإرهابيين الى سوريا، وفي العراق بدأت السعودية في الشهور الأخيرة تدخلاً واضحاً ومكشوفاً، فضلاً عن ما يشاع من تقديمها للدعم المالي والسياسي للسنة العرب، وأن شعور السعودية بأن دورها التاريخي يتآكل، دفعها الى التدخل العلني في الملفات الثلاثة، والذي تكمن دوافعه طبقاً للمقال إلى مواجهة إيران وقطع الطريق عليها⁽⁹⁾.

الولايات المتحدة تنتظر من السعودية القيام بدور أكبر في تخفيف الدعم للقاعدة والإرهاب

(9) مقابلة مع جريجوري جوس Gregory Gause وهذا نص مقابلة أجراها معه برنارد جويرتزمان من مجلس العلاقات الخارجية Council of Foreign Relations. تقرير واشنطن، العدد 101، 21 أبريل 2007.

وعلى الرغم من أن مصادر تمويل ودعم الإرهاب وتنظيمات القاعدة في الساحة العراقية، وفي غيرها من الساحات يعتمد بالدرجة الأولى على المصادر السعودية الخاصة والاهلية، وأن الولايات المتحدة تنتظر من السعودية القيام بدور أكبر في تخفيف الدعم للقاعدة والإرهاب، إلا أنهما أي الولايات المتحدة والسعودية متفقتان على ضرورة تحجيم النفوذ الإيراني، ولكن يظل هناك اختلاف مهم بين البلدين فيما يتعلق بالسياسة الأنسب في التعامل مع إيران، فالسعوديون يخشون المواجهة الأميركية المباشرة مع إيران، لأنهم سيكونون وفق تقدير السعوديين في الخط الأمامي، وقد تكون السعودية هدفاً أساسياً لأي رد فعل إيراني⁽¹⁰⁾.

(10) جلسة الحوار التي أجراها السيناتور الديمقراطي بيل نيلسون في مجلس العلاقات الخارجية CFR مع مجموعة من الباحثين والإعلاميين في واشنطن، كذلك من خلال متابعة كلمة وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط بمركز سابان التابع لمؤسسة بروكنغز بواشنطن، يحيى عبد المبدى، إيران هاجس العرب الأول في واشنطن، تقرير واشنطن، العدد 95، 10 شباط 2007.

والسعوديون غير راضين عن الطريقة التي سارت عليها الأمور في العراق، فهم غير راضين عن تزايد نفوذ الشيعة في العراق، وغير راضين عن تزايد

ولكي تواجه السعودية الضغط المتزايد من تنظيم القاعدة وأخواتها، الناتج عن اتهامها بأنها عاجزة عن الوقوف بوجه الدور والنفوذ الإيراني

النفوذ الإيراني في العراق، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تستمر في تسويق دعم السعودية للقاعدة والإرهاب والتطرف، وبدأت بالإشاحة عن ذلك شيئاً فشيئاً، وهو ما دفع السعودية الى استباق المواقف لأدراج بعض الجهات التي حضيت زمناً ليس بالقليل بدعمها وتسليحها، علماً بأن أكثر أهداف هذه الجهات الإرهابية موجهة نحو أهداف مدنية ووفق حسابات طائفية.

ومع ذلك فإن وجهة النظر الأمريكية لا تخفي حقيقة أن السعودية لديها تأثير ونفوذ على الساحة العراقية، فالسعوديون لديهم علاقات مهمة وروابط مع القيادات السياسية والقبلية السنية⁽¹¹⁾، فضلاً عن ما تقوم به الجماعات السلفية من حشد وتعبئة للانتحاريين وترويج خطاب طائفي متشدد نحو العراق.

(11) مقابلة مع جريجوري جوس Gregory Gause وهذا نص مقابلة أجراها معه برنارد جويرتزمان من مجلس العلاقات الخارجية Council of Foreign Relations. تقرير واشنطن، العدد 21، 105 نيسان 2007.

ولكي تواجه السعودية الضغط المتزايد من تنظيم القاعدة وأخواتها، الناتج عن اتهامها بأنها عاجزة عن الوقوف بوجه الدور والنفوذ الإيراني، عززت السعودية جبهتها مع كل من مصر والاردن والمغرب وباكستان بغية التصدي للنفوذ الإيراني، فضلاً عن التوافق بين موقف السعودية من جهة وتنظيم القاعدة من جهة أخرى في دعم السنة في العراق، والتحفظ على موقف الحكومة المركزية في العراق، التي ترى السعودية أنها مدعومة من إيران⁽¹²⁾.

(12) المصدر السابق نفسه. The Center for Strategic and International, The Washington Quarterly. Al-Qaeda's Third Front: Saudi Arabia, 2008.

بيد أن الاستخبارات المركزية الأميركية كانت تحت المسؤولين الأميركيين الذين يزورون السعودية، بأن يطلبوا منها تقديم العون في استقرار الوضع في العراق، عن طريق خفض دعمها للإرهابيين واقناع العشائر السنية بالكف عن مساعدة المسلحين، وعموماً فإن موقف كل من نتيناهو والعاهل السعودي الملك عبدالله في درجة واحدة من الحدة والاهتمام، بشأن الحذر والقلق من الخطر الإيراني كما يطرح ذلك المسؤولون الأميركيون⁽¹³⁾.

(13) جلسة الحوار التي أجراها السيناتور الديمقراطي بيل نيلسون، المصدر السابق.

موقف كل من نتيناهو والعاهل السعودي الملك عبدالله في درجة واحدة من الحدة والاهتمام، بشأن الحذر والقلق من الخطر الإيراني

ونخلص الى القول أن المملكة العربية السعودية عن طريق علاقتها مع الولايات المتحدة من جهة ما تبذله من أموال، فضلاً عن علاقتها مع أغلب الاطراف والقوى والشخصيات السنية العربية المتشددة لعبت دوراً مؤثراً في الساحة العراقية، وساهمت بتخطيط في منع تحقيق الاستقرار

الفساد في العراق بأنه (التمرد الثاني)، ويتسم الفساد بالتغلغل في جميع مفاصل الدولة، وهو ما يقوض الأمن ويفسد الثقة بالنظام السياسي

والنجاح للعملية السياسية، وعرقلت أي دور فعال على الصعيد العربي للعراق، والخوف من زعامة عراقية عربية مؤثرة، ونجاح مؤكد للتجربة السياسية الديمقراطية في العراق، وعموماً كانت الأدوار الإقليمية الثلاث التركية والإيرانية والسعودية حاضرة في المشهد السياسي العراقي، وساهمت في تأزيم الوضع السياسي العراقي وخلق حالة من عدم الاستقرار، وجعل الدولة العراقية هشة تفتقد إلى الاستقرار.

ثالثاً: النخب السياسية والفساد، تُعدُّ مسألة دور النخب السياسية المتزامن مع تنامي ظاهرة الفساد الإداري والمالي، من أخطر التحديات التي تواجه العملية السياسية في العراق، وأن ضعف الأداء السياسي في بناء دولة متجانسة تعتمد آليات الديمقراطية، وتبني مؤسسات قانون ودولة رصينة، أسهم في غياب القدرة على بناء حكومة قوية وتحقيق الأمن والاستقرار، وبالنتيجة كان انتشار الفساد والرشوة والتلاعب بالمال العام من نتاج الإرادة الداخلية، ومن نتاج أداء النخب المؤثرة في المشهد السياسي.

وقد وصف المفتش العام الأميركي الخاص بإعادة إعمار العراق، ستيوارت باون، الفساد في العراق بأنه (التمرد الثاني)، ويتسم الفساد بالتغلغل في جميع مفاصل الدولة، وهو ما يقوض الأمن ويفسد الثقة بالنظام السياسي⁽¹⁴⁾.

وفيما يخص النخبة السياسية العراقية، أكدت دراسة أجريت في الولايات المتحدة أن السياسيين في الولايات المتحدة والشرق الأوسط، غالباً ما يستخدمون إطارين مرجعيين في آنٍ واحدٍ: هما القيم الأخلاقية والدينية مع المتطلبات المادية وشؤون الموازنة والمالية وغيرها، ويخلطون بينها لأغراض معينة.

وعلى العكس من ذلك فإنَّ هناك توافقاً مشتركاً بين النخب الأميركية، بشأن القيم الأساسية التي تخص الملكية الخاصة والحكومة والحرية الفردية واحترام القانون، لكن هذا الإجماع يشمل أيضاً الرغبة في ممارسة النفوذ في الشؤون العالمية، والحفاظ على الأمن القومي وحماية الأنظمة الموالية لها، فهذه الأسس المرجعية مستقرة وثابتة برغم تناوب النخب الحاكمة في أمريكا منذ الحرب العالمية الأولى⁽¹⁵⁾.

(14) مايكل آيزنشتات، البقاء أم الرحيل؟ ما يمكن للولايات المتحدة أن تتركه وراءها في العراق، معهد واشنطن، 30 أيلول، 2010.

(15) هشام القروي، مصادر التأثير في السياسة الأميركية الخارجية، مركز نماء للبحوث والدراسات، 5 آب 2013.

**ساهمت النخب في العراق
كما هو الحال في البلدان
العربية، في تمزيق وتفتيت
المجتمع**

إن النخب الحاكمة في المجال العربي لا تمثل أحداً غير مصالحها الخاصة وطموحاتها الأنانية، مما حولهم إلى أسياد مفروضين على المواطنين الذين يعيشون حالة اغتراب في أوطانهم، لأن الثروة والسلطة في يد نخبة ضيقة، تُهمّش الآخرين، فهذه النخب لا تزال بعيدة عن أي توافق أو تفاهم بشأن المجتمع الذي تريد أن تبنيه⁽¹⁶⁾. لذلك ساهمت النخب في العراق كما هو الحال في البلدان العربية، في تمزيق وتفتيت المجتمع وساهمت في غياب الرؤية المشتركة والمصالح الوطنية، وركزت على جمع الثروة واستخدام السلطة لحسابات شخصية ضيقة.

(16) المصدر السابق نفسه.

وفي الوقت الذي أسهمت فيه النخب السياسية وأطراف العملية السياسية، في إنتاج دولة هشة ينخر فيها الفساد متصارعة متناقضة، وفي الوقت نفسه فإن العراق الذي يحفل بتاريخه السياسي والديني والإرث الحضاري بالرموز، التي تتسم بالتسامح والتعايش والانتماء، يوصف اليوم بأنه يفتقد إلى شخصيات سياسية رمزية، تعمل بما يعادل (لجنة تقصي الحقائق والمصالحة) في جنوب أفريقيا، كإنموذج لتحقيق المصالحة الوطنية، ولا يوجد حالياً أي نسخ عراقية من شخصيات مثل نيلسون مانديلا وإف دبلو دي كليرك، الزعماء الملهمين القادرين على معالجة تاريخ بلادهم المرير، الذي تمثل بالديكتاتورية وعدم المساواة⁽¹⁷⁾.

(17) المصدر السابق نفسه.

رابعاً: الملف الأمني وتحدي الارهاب

إنّ العامل الأساس الذي راهنت عليها كل الأطراف الدولية والإقليمية والمحلية، عدم قيام حكومة متجانسة تُؤمّن الأمن والاستقرار، والإرهاب والقاعدة العامل الأبرز في التحدي، وهدف الإرهاب اشاعة وترسيخ الطائفية والحرب الأهلية، وكانت السنوات 2006-2007 على وجه الخصوص من أبرز سنوات التحدي، في وصف مخاطر الوضع الأمني وانعكاسه على أداء الحكومة، وعلى حالة المجتمع مما أدى إلى تفتيته. ولعل أبرز مظاهر الدولة الهشة الأزمة الأمنية المستمرة والمتصاعدة.

**إنّ العامل الأساس الذي
راهنت عليها كل الأطراف
الدولية والإقليمية والمحلية،
عدم قيام حكومة متجانسة
تؤمّن الأمن والاستقرار**

إذ شهد العراق عام 2013 أزميتين أمنيتين منفصلتين لكنهما متداخلتين. ويميّز الخبراء بين فرع تنظيم (القاعدة) وما يمكن

أن يطلق عليه (التمرد الطبيعي) الذي تضطلع به قوى محلية، وتبدي وسائل الإعلام الدولية أكبر قدر من الاهتمام بالأزمة الأولى، الناجمة عن أعمال الإرهاب والقاعدة، لأن الهجمات المتناسقة بالسيارات المفخخة في مواقع متعددة هي عالية الظهور والانتشار، وفي 2013 تورد الأمم المتحدة في تقرير لها أن (5740) مدنياً قد قتلوا منذ كانون الثاني، وهو ما يقرب من ضعف العدد الذي أبلغت عنه المنظمة طوال عام 2010.

إن التوترات الطائفية في المنطقة، وخاصة تلك المنبثقة عن الأزمة في سوريا، تُوفر خلفية عن الحوافز التي عززت عمليات تلك الجماعات القتالية المحلية. فهجمات هذه الجماعات آخذة في التزايد⁽¹⁸⁾، والأزمة الأمنية عام 2013 كانت كبيرة أضعفت من أداء الحكومة.

(18) عشر سنوات على احتلال العراق، مصدر سابق.

وإذا استمر العراق في المسار الحالي، فسوف تتجه الأوضاع نحو مزيد من التعقيد والمواجهة، على نطاق أوسع مما حدث في 2006-2007، وهو ما يدفع البلاد نحو أزمة عسكرية متكاملة الأركان، وهي نتيجة ربما تظل فيها الأزمة الأمنية في العراق مستمرة إلى ما وراء العقد الحالي، وتصبح جزءاً من المشهد الإقليمي⁽¹⁹⁾، ومن ثمَّ يعدّ الوضع الأمني يعد التحدي الأكبر، الذي يقف في وجه قيام حكومة قوية، ويكون منطلقاً نحو بناء دولة مستقرة تنهض بمهامها.

(19) مايكل نايتس، الأزمة الأمنية التي لا نهاية لها في العراق، معهد واشنطن، 3 تشرين الأول 2013.

ولهذا حاولت الولايات المتحدة بين الحين والآخر، إحياء (اتفاقية الإطار الاستراتيجي) الثنائية الموقعة في تشرين الثاني - نوفمبر 2008، وجعلها وسيلة من وسائل الحفاظ على الاتصال الوثيق بين واشنطن وبغداد بعد انسحاب القوات الأميركية، بما يمكنها من حماية مصالحها، وقد ترى فيها الولايات المتحدة طريقة بارعة وبطيئة في إعادة بناء النفوذ الأميركي في العراق. لذلك فإن اللقاء بين وزير الخارجية العراقي والولايات المتحدة في آب 2013 هو محاولة لإعادة النظر في اتفاقية الإطار الاستراتيجي⁽²⁰⁾.

(20) المصدر السابق نفسه.

ربما تظل فيها الأزمة الأمنية في العراق مستمرة إلى ما وراء العقد الحالي، وتصبح جزءاً من المشهد الإقليمي

وكان الاجتماع فرصة لبداية وضع إطار للانتخابات الوطنية الهامة، التي ستجري في العراق عام 2014، والتي ستكون الأولى من نوعها منذ انسحاب القوات الأميركية، ويرى العديد من العراقيين أن الولايات المتحدة وقفت الى جانب تشكيل حكومة لصالح المالكي عقب انتخابات 2010، إذ

بدا وكأنها قد دعمت رئيس الوزراء الحالي من أجل الاستقرار في البلاد، لذلك فهي ترى هذه المرة أنه يتعين عليها أن تظهر للعراقيين، وقوفها وراء العملية الديمقراطية بدلاً من أية نتيجة معينة. وحان الوقت على أن تكون الانتخابات القادمة حرة ونزيهة ودقيقة⁽²¹⁾.

(21) مايكل نايتس، أحمد البريج، إعادة بناء النفوذ الأميركي في العراق من خلال الاجتماعات المتتالية واحداً تلو الآخر، معهد واشنطن، 14 آب/أغسطس 2013.

مضامين وتصورات ختامية

يمكن الى القول إن عوامل متعددة ساهمت في خلق دولة هشة في العراق، وكانت وراء عدم الاستقرار وغياب الوحدة الوطنية، وهيمنة صورة الانقسام والتشتت والصراع في المشهد السياسي العراقي، ولعل العاملين الأساسيين وراءهما هما العامل الدولي المتمثل بالاحتلال الأميركي والسياسة الأميركية في العراق، إذ لا يمكن لأحد أن يتوقع أن يبني آماله وتصورات وبنائه دولته على الاحتلال وعلى القوى الخارجية، على الرغم من أنه لا يستطيع أحد تجاهل دورها وتأثيرها، إذ اقتضت حاجة الاحتلال الأميركي إقامة

لا يمكن لأحد أن يتوقع أن يبني آماله وتصورات وبنائه دولته على الاحتلال وعلى القوى الخارجية

حكومة شبة متكاملة ضعيفة توافقية، يحقق بها بقاءه وأهدافه، فخلق التحديات وإثارة المشكلات تصب في المصلحة الأميركية، وتمثل رغبة في خلق أجواء لإحتواء العراق، وفي ظل غياب الهوية الوطنية المشتركة لأطراف العملية السياسية، يمكن القول إن الولايات المتحدة فشلت في تكوين نسيج وطني اجتماعي في العراق، بل على العكس يمكن القول أن سياستها هي التي مزقت هذا النسيج، وجعلت من الطائفية سلاحاً سياسياً لخلق حالة عدم الاستقرار، ولعل هاجس الخوف من إيران وكبح نفوذها في العراق، ورغبة إسرائيل في حذف العراق من المعادلة الإقليمية في مجرى الصراع العربي الإسرائيلي، هما عاملان مهمان وراء الرغبة في دولة هشة في العراق.

والعامل الإقليمي لا يقل أهمية في تأثيره وانعكاساته المباشرة على العملية السياسية في العراق، إن الدور السعودي كان الأبرز والأهم في التأثير على عمل وأداء وهوية الدولة العراقية، نتيجة الدعم الذي قدمته للقاعدة والإرهاب، وللسياسيين المتشددون في المشهد السياسي العراقي، مدعومة بسياساتها ومتزامنة في السنوات الأخيرة

الدور السعودي كان الأبرز والأهم في التأثير على عمل وأداء وهوية الدولة العراقية، نتيجة الدعم الذي قدمته للقاعدة والإرهاب

مع الدور التركي الاقليمي، الذي دخل بقوة في التعامل مع الاوضاع الداخلية في العراق وحركها ودفعها نحو الانقسام والتشتت، وكل ذلك يجري تحت لافتة طائفية تدعي بأن السنة في العراق مهمشين، أو الخشية من نفوذ إيراني في العراق، زيادة على ذلك فشلت ايران في مساعدة العراق في تكوين تحالفاً وطنياً منسجماً، يحمل برنامجاً وطنياً قادراً على تحمل أعباء دولة متماسكة، إذ كانت الفرصة سانحة لإقامة دولة عراقية وطنية مستقلة، تدعم وتتحالف مع ايران تحالفاً استراتيجياً يخدم البلدين والمنطقة، ويكون عامل استقرار فيها، لذلك نقول إن العاملين الدولي والإقليمي كانا من الأسباب الرئيسة وراء خلق دولة هشة في العراق لا تستطيع أن تنهض بأعبائها ومهامها.

وأن النتاج الداخلي والارادة والنخبة المحلية، كانت هي السبب الأكثر فاعلية وتأثير في عدم قيام حكومة كاملة الإرادة والسيادة، إذ غابت الهوية الوطنية والمصالح الوطنية المشتركة، وتقدم بدلاً منها الهويات والاجندات الطائفية والقومية والحزبية الضيقة، وكان الخوف والخشية من الآخر والشك والريبة نتيجة تراكمات الماضي، هي التي رسمت شكل المشهد السياسي العراقي، إذ يحاول كل طرف أن يحصل على أكبر قدر من الامتيازات على حساب المصلحة الوطنية العليا، إلا أن غياب نخبة تحمل برنامجاً وطنياً متكاملًا وبروح واحساس المصلحة العليا، جعل الدولة العراقية تفتقد الى البرنامج الذي يستطيع به مواجهة التحديات والاجندات الداخلية والخارجية، والنهوض بواقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لذلك يمكن القول إن الدولة العراقية الهشة هي نتاج أرادة خارجية وسلوك داخلي وأداء سياسي فاشل، ساهمت العوامل والمصالح الدولية (الأميركية) والإقليمية المتصارعة المتناقضة في خلق مناخه، ودفعه الى مزيد من الضعف والهشاشة والانقسام وغياب الهوية الوطنية.

إن الدولة العراقية الهشة هي نتاج أرادة خارجية وسلوك داخلي وأداء سياسي فاشل

